Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



معرضة[١] ، وقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب ممن عصى النصيح ، وخالف الرشيد ، وأصغى إلى التقاطع ، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم ، وكيف كان صيور أمورهم ، فتلاوموا القرحة قبل تفاقم النأى[٢]، واستفحال الداء ، وإعواز الدواء ، فإنه إذا سفكت الدماء استحكمت الشحناء ، وإذا استحكمت الشحناء تقضبت[٣] عرى الإبقاء ، وشمل البلاء » .

هذا مع استثناء بعض الخطب ؛ فقد كانوا يطيلون سببا فى خطب النكاح ، وإصلاح ذات البين .

ولا يمكن بحال أن نتصور وصول خطبة من خطبهم كاملة مفصلة كما قالها صاحبها ، لعجز الرواة عن استظهارها كلها ، فهم إنما يحفظون منها ما كان أشد قرعا للسمع ، ووقعا فى النفس ، بعبارة تحمل ذات المعنى الأصيل ، وإن اختلفت عنها شيئا فى بعض اللفظ .

ومع هذا فلا يمكن كذلك أن نتصور خطيبا جاهليا محيط به بيئة الجاهلية بكل أبعادها وأغوارها يخطب فيطيل الإطالة التى نهدها فى الخطابة بعد ذلك العصر لما قدمنا آنفا ، ولانطباع العرب الجاهليين على الإيجاز ، ولأنها أسهل للحفظ ، وأسرع شيوعا من الخطب الطوال .

٤ — عدم الاهتمام بالمقدمات ؛ فقد كان الخطيب فى الجاهلية يهجم على أغراضه مباشرة من غير تقديم ولا تمهيد ؛ إذ الخطابة بالنسبة له لا تخرج عن أى عمل يقوم به العربى فى تلك البيئة بما تشتمله من صراحة ووضوح وانكشاف ، وبما تنطوى عليه الحياة فيها من قسوة وخشونة .. فليس شىء مما يقع عليه نظر العربى مرت عليه يد التهذيب والتثقيف إلا أن تكون ضرورة الحياة هى التى تفرض عليه تهذيبه أو تثقيفه ، وليس فى صحرائه المكشوفة الواسعة ما يلفته إلى الالتواء .

---

(١) معرضة : ممكنة .

(٢) النأى : الإنساد .

(٣) تقضبت : تقطعت .